
الاستعاذة بالله
وبصفاته وكلماته وإجماع السلف
على المنع من الاستعاذة بالمخلوق
أحمد بن حسن المعلم
الألوكة
www.alukah.net
00201156800204

الاستعاذة بالله وبصفاته وكلماته وإجماع السلف على المنع من الاستعاذة بالمخلوق

كتبه:

أحمد بن حسن المعلم

١٤٤٦هـ-٢٠٢٤م



المقدمة

الحمد لله الذي من استعاذ به أعاذه، ومن استجار به أجاره، ومن دعاه أجابه، أمر عباده أنْ يستعيذوا به مما يخافون، ويستجيروا به مما يحذرون، ويدعونه لما يطلبون، والصلاة والسلام على من شرع لأمته الاستعاذة بالله وبصفاته وكلماته؛ صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وصحابته أجمعين وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الاستعاذة بالله من أعظم العبادات وأجلّ القربات وأمنع الحصون الواقيات من المصائب والآفات.

أمر الله بها في عدة مواضع من القرآن، وعلمها رسوله ﷺ لأمته في عدة مناسبات؛ حينًا بذات الله، وحينًا ببعض صفاته، وحينًا بكلماته؛ ولم يُعلمهم أنْ يستعيذوا بأحدٍ من خلقه، مما يدل على أنها من العبادات التي لا تصرف إلا لله، كالدعاء، والاستعانة، والاستغاثة، بل هي أحد أوجه الدعاء كما سيأتي:

وقد أتت نصوصٌ كثيرة في القرآن الكريم يأمر الله فيها بالاستعاذة بذاته العليّة في مناسباتٍ مختلفة؛ كما صح في السنة أحاديث كثيرة فيها استعاذة الرسول ﷺ بالله، وببعض صفاته، وبكلماته التامات.

وأنا في هذه النبذة اليسيرة أقف عند الاستعاذة بكلمات الله التامات حيث صحت بذلك أحاديث كثيرة، استدل بها عددٌ من الأئمة على أنَّ القران غير مخلوق، وذلك بناءً على أمرٍ معلومٍ عندهم من الدين بالضرورة وهو: -أنَّ الاستعاذة بالمخلوق لاتجوز- لذا فإن الأحاديث التي فيها الاستعاذة بكلمات الله قائمة على أصلين من أصول الاعتقاد هما:



الأصل الأول: أنه لا يستعاذ بمخلوق وهذا متفق عليه بينهم، بل يفهم من كلام بعضهم أنه معلوم عندهم من الدين بالضرورة.

الأصل الثاني: أنَّ كلام الله ومنه القرآن غير مخلوق.

وقد كان المشركون إذا نزلوا منزلًا يخافون فيه من شر الجن استعاذوا بكبير ذلك المنزل من شر قومه، وقد شهد بذلك من آمن منهم، وسجل شهادتهم القرآن الكريم في سورة الجن؛ قال تعالى حكاية عنهم: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن : ٦]، ومما قيل في معنى الرهق أنه الشرك والكفر كما سيأتي ذلك.

وقد أورد ابن كثير في تفسير هذه الآية قصةً رواها ابن أبي حاتم في تفسيره وهي: "عَنْ كَردم بْنِ أَبِي السَّائِبِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ أَبِي مِنَ الْمَدِينَةِ فِي حَاجَةٍ، وَذَلِكَ أَوَّلَ مَا ذُكِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ، فَآوَانَا الْمَبِيتُ إِلَى رَاعِي غَنَمٍ. فَلَمَّا انْتَصَفَ اللَّيْلُ جَاءَ ذِئْبٌ فَأَخَذَ حَمَلًا مِنَ الْغَنَمِ، فَوَثَبَ الرَّاعِي فَقَالَ: يَا عَامِرَ الْوَادِي، جَارَكَ. فَنَادَى مُنَادٍ لَا نَرَاهُ، يَقُولُ: يَا سِرْحَانُ، أَرْسِلْهُ. فَأَتَى الحملَ يَشْتَدُّ حَتَّى دَخَلَ فِي الْغَنَمِ لَمْ تُصِبْهُ كَدْمَةٌ" [١].

ثمَّ علّق عليها بقوله: "وقد يكون هذا الذئب الذي أخذ الْحَمَلَ، -وهو ولد الشاة-، كان جنيًا حتى يرهب الإنسي ويخاف منه، ثمَّ رده عليه لما استجار به ليضله وَيُهِينَهُ ويخرجه عن دينه والله أعلم"[٢].

وقد أبدلنا الله من تلك الاستعاذة الشركية استعاذة التوحيد فقال ﷺ «من نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»[٣].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٧٧)، تفسير ابن كثير (٨/ ٢٥٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٥٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره (٤/ ٢٠٨٠)، برقم: (٢٧٠٨).

وهذا بحثٌ يسير في معنى الاستعاذة ونسبتها إلى الدعاء، وما استنبطه أئمة أهل السنة من الأحاديث التي فيها الا ستعاذة بكلمات الله التامات من أنَّ كلمات الله غير مخلوقة، إذ يستحيل أنْ يستعيذ النبي ﷺ بمخلوق، وما يؤخذ من ذلك من منع الاستعاذة بالمخلوق، وأنَّ ذلك ما عليه أهل الإسلام، ولم يوجد من يقول بخلاف ذلك في عصرهم.



المبحث الأول: معنى الاستعاذة والنسبة بينها وبين الدعاء، وأقوال بعض المفسرين في ذلك:

معنى الاستعاذة لغة: قال ابن فارس: "(عَوَذَ) العين والواو والذال أصلٌ صحيح يدلُّ على معنًى واحد، وهو الالتجاء إلى الشَّيْءِ، ثُمَّ يُحْمَلُ عليه كل شَيْءٍ لَصِقَ بشيْءٍ أو لازمه.

قال الخليل: تقول أعوذ بالله – جَلَّ ثناؤُهُ – أي أَلْجَأُ إليه – تبارك وتعالى –، عَوْذًا أو عِيَاذًا. ذكر أيضًا أنهم يقولون: فلانٌ عِيَاذٌ لك، أي مَلْجَأٌ. وقولهم: معاذ اللَّه، معناه أعوذ باللَّهِ. وكذا أَسْتَعِيذُ بالله"[١].

وفي الاصطلاح: قال ابن كثير رحمه الله: " والاستعاذة هي الالتجاء إلى الله تعالى، والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر، والعياذة تكون لدفع الشر، واللياذ يكون لطلب جلب الخير"[٢].

وقال ابن القيم رحمه الله: "اعلم أنَّ لفظ عاذ وما تصرف منها يدل على التحرز والتحصن والنجاة، وحقيقة معناها الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه، ولهذا يسمى المستعاذ به معاذًا، كما يسمى ملجأ ووزرًا وفي الحديث: «أَنَّ ابْنَةَ الجَوْنِ، لَمَّا أُدْخِلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَنَا مِنْهَا، قَالَتْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، فَقَالَ لَهَا: «لَقَدْ عُذْتِ بِعَظِيمٍ، الحَقِي بِأَهْلِكِ» رواه البخاري[٣] فمعنى أعوذ ألتجئ وأعتصم وأتحرز"[٤].

النسبة بين الاستعاذة والدعاء:

---

[١] معجم مقاييس اللغة (٤/١٨٣-١٨٤).

[٢] تفسير ابن كثير (١/ ٢٩).

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطلاق، باب من طلق، وهل يواجه الرجل امرأته بالطلاق؟ (٧/ ٤١)، برقم: (٥٢٥٤).

[٤] بدائع الفوائد (٢/ ٢٠٠).





الاستعاذة نوعٌ خاصٌ من أنواع الدعاء، بينهما عمومٌ وخصوصٌ مطلقٌ، فكل استعاذةٍ دعاء، وليس كل دعاءٍ استعاذةٌ.

قال أبو منصور الماتريدي –رحمه الله– في تفسيره المسمى تأويلات أهل السنة: "وقال الخليل: أعوذ بالله، أي: ألجأ إلى الله – تعالى – وكذلك قوله: أستعيذ بالله، ومعاذ الله معناه: أعوذ بالله، ومنه الإعاذة والتعوذ والتعويذ.

وقال غيره: أعوذ بالله، أي: أمتنع بالله.

وقيل: أعوذ بالله، أي: أتحصن بالله.

وقيل: الاستعاذة: هي الاستغاثة بالله؛ لدفع ما اعترض له من الشيطان.

وكله قريب بعضه من بعض"[(١)].

وفي القول الأخير دلالةٌ واضحةٌ على أنَّ الاستعاذة دعاء.

وقال ابن تيمية –رحمه الله–: "والداعي يطلب أحد شيئين: إما حصول منفعة أو دفع مضرة، فالاستعاذة والاستجارة والاستغاثة كلها من نوع الدعاء والطلب، وقول القائل لا يستعاذ به ولا يستجار به ولا يستغاث به ألفاظ متقاربة"[(٢)].

وقال الواحدي في الوسيط: "قال ابن عباس: يريد: يعرض لك من الشيطان عارض.

وقال الزجاج: إنْ نالك من الشيطان أدنى وسوسة.

فاستعذ بالله: اطلب النجاة من تلك الوسوسة بالله، أي: قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إنه سميع: لدعائك، ﴿عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] بما عرض لك"[(١)].

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة (٥/ ١٢١).

(٢) الاستغاثة في الرد على البكري (ص: ٢٩٧)، ومثله في: مجموع الفتاوى (١٥/ ٢٢٧).





مما تقدَّم يثبت أنَّ الاستعاذة دعاء كما هو شأن الاستعانة والاستغاثة والمسألة.

وأنَّ حكمها جميعًا واحدٌ، فحيث شُرع واحدٌ منها شُرع الجميع، وحيث مُنع واحدٌ منها مُنع الجميع، وحيث اعتبرنا صرف واحدٍ منها لغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شركًا شمل ذلك الجميع، وسيأتي لذلك مزيد بيانٍ إنْ شاء الله.

أقوال بعض المفسرين في استعاذة الأنس بالجن:

الاستعاذة بغير الله كفر وشرك، قال مكي ابن أبي طالب –رحمه الله-: "والرهق في كلام العرب: الإثم والعيب وإتيان المحارم. ومنه: فلان يرهق بكذا، أي: يعاب به. فيكون التقدير: فزاد الجنّ الإنس إثماً لما استعاذوا بهم. وكان ذلك من فعل المشركين. قال ابن عباس وغيره: كان رجال من الإنس يَبِيتُ أحدهم في الوادي في الجاهلية، فيقول: أعوذ بعزيز هذا الوادي فزادهم ذلك إثمًا"[٢].

وقال السمعاني –رحمه الله-: "والقول الثاني: هو أنَّ الإنس ازدادوا رقها بالاستعاذة من الجن.

ومعناه: طغيانًا وإثمًا، كأن الإنس لما استعاذوا بالجن وأمنوا على أنفسهم ازدادوا كفرًا، وظنوا أنَّ أمنهم كان من الجن"[٣].

وقال ابن عاشور: " والذي أختاره في معنى الآية أن العوذ هنا هو الالتجاء إلى الشيء والالتفات حوله.

وأنَّ المراد أنه كان قوم من المشركين يعبدون الجن اتقاء شرها. ومعنى فزادوهم رهقًا فزادتهم عبادتهم إياهم ضلالًا. والرهق: يطلق على الإثم"[١].

---

[١] التفسير الوسيط (٢/ ٤٣٨).

[٢] الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/ ٧٧٦٤).

[٣] تفسير السمعاني (٦/ ٦٦).





المبحث الثاني: نصوص الاستعاذة بكلمات الله:

ثبت عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة يستعيذ أو يرشد إلى أنْ يستعيذ المسلم بكلمات الله التامات من شر ما خلق، وقد استنبط منها عدد من الأئمة دليلًا على عقيدةٍ من عقائد أهل السنة وهي أنَّ القرآن –كلام الله – غير مخلوق، ووجه الدلالة أنَّ النبي ﷺ استعاذ به، أو علَّم أصحابه أنْ يستعيذوا به، ولو كان مخلوقًا لما استعاذ به. إذ محالٌ أنْ يستعيذ رسول الله ﷺ بمخلوق، كما ستأتي نصوص كلامهم؛ أنه محالٌ أنْ يستعيذ رسول الله ﷺ بمخلوق، وهذه جملة من الأحاديث الصحيحة في ذلك.

١ - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ، وَيَقُولُ: إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ »[٢].

٢ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ، قَالَ: «أَمَا لَوْ قُلْتَ، حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ»[٣].

٣- عن خولة بنْتَ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةَ ﷺ، قالت سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»[١].

---

[١] التحرير والتنوير (٢٩/ ٢٢٥).

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٤/ ١٤٧)، برقم: (٣٣٧١).

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره (٤/ ٢٠٨١)، برقم: (٢٧٠٩).





٤ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ إِذَا أَمْسَى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّهُ حُمَةٌ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، قَالَ: فَكَانَ أَهْلُنَا قَدْ تَعَلَّمُوهَا، فَكَانُوا يَقُولُونَهَا، فَلُدِغَتْ جَارِيَةٌ مِنْهُمْ، فَلَمْ تَجِدْ لَهَا وَجَعًا»[٢].

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره (٤/ ٢٠٨٠)، برقم: (٢٧٠٨).

[٢] أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه (١٣/ ٢٧٤)، برقم: (٧٨٩٨)، وقال المحققون للمسند: "إسناده صحيح على شرط مسلم".



المبحث الثالث: استدلال الأئمة بتلك النصوص:

استدل عدد من الأئمة بالأحاديث المتقدمة على أنَّ كلمات الله ومنها القرآن غير مخلوقة.

لأنه معلومٌ عندهم بالضرورة من دين الله أنه لا يستعاذ بمخلوق؛ ومادام أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم استعاذ بكلمات الله وعلَّم أمته أنْ تستعيذ بها فهي غير مخلوقة، وممن ثبت عنهم ذلك الاستدلال:

١،٢ - نعيم بن حمَّاد المتوفى سنة (٢٢٨هـ) -رحمه الله-، ومُحمَّد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة (٢٥٦هـ) -رحمه الله-، قال البخاري في خلق أفعال العباد: "باب ما كان النبي يستعيذ بكلمات الله لا بكلام غيره وقال نعيم: لا يستعاذ بالمخلوق، ولا بكلام العباد والجن والإنس، والملائكة وفي هذا دليل أنَّ كلام الله غير مخلوق، وأنَّ سواه مخلوق"[١].

٣ – أحمد بن حنبل المتوفى سنة (٢٤٣هـ) قال الخطابي -رحمه الله-: "كان أحمد بن حنبل يستدل بقوله بكلمات الله التامة على أنَّ القرآن غير مخلوق، وهو أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستعيذ بمخلوق، وما من كلام مخلوق إلا وفيه نقص، والموصوف منه بالتمام هو غير المخلوق وهو كلام الله سبحانه"[٢].

٤- ابن خزيمة المتوفى سنة (٣١١هـ) -رحمه الله- قال: "عن أبي هريرة ﷺ قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا أَنَّكَ لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ تَضُرَّكَ»[٣] قال أبو بكر: قد أمليت هذا الباب بتمامه في كتاب

---

(١) خلق أفعال العباد (ص: ٩٦).

(٢) معالم السنن (٤/٣٣٢ – ٣٣٣).

(٣) سبق تخريجه.



الطب والرقى قال أبو بكر: أفليس العلم مُحِيطًا يَا ذَوِي الْحِجَا؟ أنه غير جائز أنْ يأمر النبي ﷺ بالتعوذ بخلق الله من شر خلقه؟ هل سمعتم عالمِا يجيز، أن يقول الداعي: أعوذ بالكعبة من شر خلق الله؟ أو يجيز أنْ يقول: أعوذ بالصفا والمروة، أو أعوذ بعرفات ومنى من شر ما خلق الله، هذا لا يقوله ولا يجيز القول به مسلم يعرف دين الله، محال أنْ يستعيذ مسلم بخلق الله من شر خلقه"[١].

٥- ابن بطة -رحمه الله- المتوفى سنة (٣٨٧هـ) في الإبانة بعد أنْ ذكر عددًا من الأحاديث في الاستعاذة قال: "فتفهموا رحمكم الله هذه الأحاديث، فهل يجوز أنْ يَعُوذَ النبي صلى الله عليه وسلم بمخلوق، ويتعوذ هو ويأمر أمته أنْ يتعوذوا بمخلوق مثلهم؟ وهل يجوز أنْ يُعَوِّذَ إنسان نفسه أو غيره بمخلوق مثله؟ فيقول: أعيذ نفسي بالسماء أو بالجبال أو بالأنبياء أو بالعرش أو بالكرسي أو بالأرض؟. وإذا جاز أنْ يَتَعَوَّذَ بمخلوق مثله، فَلْيُعَوِّذْ نفسه وغيره بنفسه، فيقول: أعيذك بنفسي أوليس قد أوجب عبد الله بن مسعود رحمه الله على من حلف بالقرآن بكل آية كفارة؟ فهل يجب على من حلف بمخلوق كفارة؟"[٢].

٦ - وقال ابن عبد البر -رحمه الله- المتوفى سنة (٤٦٣هـ): "وفي الاستعاذة بكلمات الله أَبْيَنُ دليل على أنَّ كلام الله منه تبارك اسمه، وصفة من صفاته، ليس بمخلوق، لأنه محال أنْ يستعاذ بمخلوق وعلى هذا جماعة أهل السنة والحمد لله"[٣].

٧ - الحسين بن مسعود البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ) قال: "وفي هذا الحديث وفي أمثاله مما جاء فيه الاستعاذة بكلمات الله دليل على أنَّ كلام الله غير مخلوق، لأن النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ به، كما استعاذ بالله، فقال ﷺ: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ

---

[١] التوحيد وإثبات صفات الرب عزَّ وجلَّ (١/ ٤٠١).

[٢] الإبانة الكبرى (٥/ ٢٦٢).

[٣] التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٤/ ١٨٦).





الشَّيَاطِينِ* وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧ – ٩٨]، وقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق : ١] وقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

واستعاذ بصفاته، كما جاء في دعاء المشتكي «قل: أعوذ بعزة الله، وقدرته من شر ما أجد»[١]. ولم يكن النبي ﷺ يستعيذ بمخلوق من مخلوق"[٢].

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء (٤/ ١٧٢٨)، برقم: (٢٢٠٢).

[٢] شرح السنة (١/ ١٨٥).





الخاتمة والنتائج:

هؤلاء سبعة من أعظم أئمة أهل السنة يتفقون على أنه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق، وأكثرهم بيانًا في ذلك إمام الأئمة مُحَمَّد بن إسحاق ابن خزيمة الذي قال: " أفليس العلم مُحِيطًا يَا ذَوِي الْحِجَا؟ أنه غير جائز أنْ يأمر النبي ﷺ بالتعوذ بخلق الله من شر خلقه؟ هل سمعتم عالمًا يجيز، أن يقول الداعي: أعوذ بالكعبة من شر خلق الله؟ أو يجيز أنْ يقول: أعوذ بالصفا والمروة، أو أعوذ بعرفات ومنى من شر ما خلق الله، هذا لا يقوله ولا يجيز القول به مسلم يعرف دين الله، محال أنْ يستعيذ مسلم بخلق الله من شر خلقه"[١].

ويؤيِد كلامه هذا كلام ابن عبد البر الذي قال: "وفي الاستعاذة بكلمات الله أَبْيَنُ دليل على أنَّ كلام الله منه تبارك اسمه، وصفة من صفاته، ليس بمخلوق، لأنه محال أنْ يستعاذ بمخلوق وعلى هذا جماعة أهل السنة والحمد لله"[٢].

ولماذا لا يجوز ذلك؟

الجواب: لأنه شرك؛ قال القرطبي المفسر –رحمه الله– في تفسير سورة الجن في تفسير قوله تعالى: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن : ٦] "وقال سعيد ابن جبير: كفرًا. ولا خفاء أنَّ الاستعاذة بالجن دون الاستعاذة بالله كفر وشرك"[٣].

كما أنَّ تعليق الإمام ابن كثير –رحمه الله– المذكور مسبقًا فيه دلالة واضحة على أنَّ من استعاذ بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله واعتقد أنَّ ذلك المستجار به يجيره ويدفع عنه أنه يضل ويخرج من الدين.

---

[١] سبق ذكره.

[٢] سبق ذكره.

[٣] تفسير القرطبي (١٩/ ١٠).





وقال جمال الدين القاسمي –رحمه الله–: "وقال ابن زيد: كان الرجل في الجاهلية إذا نزل بواد قبل الإسلام قال: إني أعوذ بكبير هذا الوادي. فلما جاء الإسلام، عاذوا بالله وتركوهم. انتهى[١].

أي: لأن ذلك من الشرك، ولذا نزلت سورتا المعوذتين لتعليم الاستعاذة بالله تعالى وحده والتبرؤ من الاستعاذة بغيره. وكذلك أذكار الاستعاذات المأثورة، فإنها للإرشاد لذلك"[٢].

ومن مجموع كلام هؤلاء الأئمة يظهر أنه لم يكن في زمانهم ولا فيمن تقدمهم من يجيز الاستعاذة بالمخلوق، لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك كما بيّنه القرطبي وابن كثير والقاسمي رحمهم الله، وبما أننا عرفنا أنَّ الاستعاذة نوعٌ من أنواع الدعاء إذن فصرف أي نوعٍ من أنواع الدعاء لغير الله شرك بالله عزَّ وجلَّ، وأنه لا يعرف في زمانهم من يجيز أنْ يستعيذ المسلم بأي مخلوق، ويفهم من ذلك أنه لا يوجد في عهد السلف من يجيز دعاء غير الله، وهذا هو السر في عدم تقريرهم هذه المسألة تقريرًا مفصلًا.

ولا يلزم من قولنا أنَّ دعاء غير الله شركٌ أنَّ كل من دعا غير الله مشرك خارجٌ من الملة إلا بعد أنْ تقام عليه الحجة وتزال عنه الشبهة، وتكتمل فيه شروط التكفير وتنتفي عنه موانعه.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري = جامع البيان (٢٣/ ٦٥٦).

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويل (٩/ ٣٣١).



المصادر والمراجع:

١-القرآن الكريم.

٢-الإبانة الكبرى، عبيد الله بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: ٣٨٧هـ)، المحقق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

٣-الاستغاثة في الرد على البكري، أحمد بن تيمية (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، دراسة وتحقيق: عبد الله بن دجين السهلي، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٤-بدائع الفوائد، مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٥-التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

٦-تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: مُحَمَّد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات مُحَمَّد علي بيضون، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٧-تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد مُحَمَّد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ.





٨- تفسير القرآن، منصور بن مُحَمَّد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٩- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٠- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: مصطفى بن أحمد العلوي ، مُحَمَّد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.

١١- التوحيد وإثبات صفات الرب عزَّ وجلَّ، مُحَمَّد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٢- جامع البيان في تأويل القرآن، مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد مُحَمَّد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٣- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.





١٤- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، المحقق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٥- خلق أفعال العباد، مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن عميرة، دار المعارف السعودية، الرياض.

١٦- شرح السنة، الحسين بن مسعود بن مُحَمَّد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط-مُحَمَّد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٧- مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١٨- محاسن التأويل، مُحَمَّد جمال الدين بن مُحَمَّد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: مُحَمَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢٠- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ = صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.





٢١- معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، حمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، المطبعة العلمية، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.

٢٢- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٣- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، مكي بن أبي طالب حَمّوش بن مُحَمَّد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٢٤- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، علي بن أحمد بن مُحَمَّد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي مُحَمَّد معوض، أحمد مُحَمَّد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

